ظهر أدب جديد في القرن التاسع عاشر اصطلح على تسميته **بالأدب الطّبيعي والأدب الواقعي**، هذه النّزعة الأدبية تدعو إلى ربط الأدب بالحياة أو البيئة أو المحيط أو الظروف الاجتماعيّة.

ولعّل أوّل محاولة هي تلك التي قام بها **هيبوليت تين** في مقدّمة كتابه **تاريخ الأدب الإنجليزي** الّذي نُشِرَ عام 1863، وقد لقيت اهتماما من طرف النقاد والمفكرّين، حيث يرى أنّ هناك ثلاثة عوامل تؤثر في الأدب وهي:

**أ- الجنس والعرق:**

يقصد به الخصائص القوميّة، إذ يرى أنّ أدب أمّةٍ ما يختلف عن أدب أمّة أخرى، وهذا يعود إلى تبايّن الخصائص القوميّة التي تعني لديه تأثير المناخ والتّربة وللدّوافع الغريزية والعادات والنّزاعات الدّفينة...إلخ.

**ب- البيئة:**

الإنسان في بيئتّه خاضع لأوضاع حتميّة، هيّ التي تتحكّم بالأدب والحياة العقلية (فالمناخ في انجلترا مثلا يؤثّر في تشكيل المزاج للفرد الإنجليزي وبالتّالي يؤثر في الأدب).

**ج- الزّمن:**

أو اللّحظة التاريخية وهو ما يجعل مفهوم البيئة متحرّكا، ويعني به روح العصر أو مكان العمل الأدبي في تاريخ التراث، وربما يعنّي ما عبّر عنه شاعر عربي قديم بقوله: «لكلّ زمان دولة ورجال ».

خلافا لنظرية المحاكاة والتّعبير ولآراء **تين** استندت نظرية الانعكاس في تفسير الأدب نشأة وماهية ووظيفة إلى **الفلسفة الواقعيّة الماديّة**، هذه الفلسفة التي ترى بأنّ الوجود الاجتماعي أسبق في الظهور من وجود الوعي بل أنّ أشكال الوجود الاجتماعي هي التّي تحدّد أشكال الوعي وتتميّز نظرية الانعكاس عن سائر النظريات بكونها لم تركّز على جانب واحد من جوانب الظاهرة الأدبية (ركّزت نظرية المحاكاة على المتلقي، وركّزت نظرية التعبير على المُبْدِع) بل تناولتها من كافة جوانبها.

* وترى الفلسفة الواقعية الماديّة أنّ الواقع المادي أي علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج (البنيّة التحتية) تُولّدُ وعيًا محدّدًا هذا الوعي يظمّ الثّقافة والفلسفة والقوانين والدّساتير والفكر والفنّ (البنية الفوقيّة). أي أنّ التّغيُّر في البناء الاقتصادي والاجتماعي يؤدي إلى تغيُّر في شكل الوعي أو مجمل البناء الفوقي فكلّ تغيّر في علاقات الإنتاج أو في البناء الاقتصادي الاجتماعي يستتبع بالضّرورة تغيٌّر في الرؤية لمفهوم المجتمع واللّغة والإنسان، والأدب والقيّم ...إلخ، وهوّ ما يؤدّي بالضرورة إلى تغيّر في الأشكال الأدبيّة من حيث الموضوعات والأساليب والأهداف، وهذا يعني أنّ الأدب انعكاس للواقع الاجتماعي.

**- ملاحظات حول نظرية الانعكاس:**

* تستند نظرية الانعكاس إلى الفلسفة الواقعيّة الماديّة، حيث خاض أعلامها صراعًا فكريّا وفلسفيًا وفنيًا ضدّ أصحاب فكرة الفنّ الخالص والجمال الخالص، لأنّ هؤلاء ينظرون إلى عمل الأديب أنّه نوع من اللّعب والزّخرفة والتشكيل الخالي من أيّ مضمون.
* شدّد أعلام نظريّة الانعكاس على الدّلالة الاجتماعيّة للأعمال الأدبيّة والفنيّة وعلى الصلة بين الأدب والمجتمع.
* ارتبطت هذه النظرية بمفهوم الالتزام ومفهوم الواقعيّة، ومفهوم الالتزام وهو أن يلتزم الأديب بتصوير الواقع وهنا أمر يرتقي بالعمل الأدبي من النّاحية الفنيّة وبعبارة أخرى نستطيع القول بأنّه كلما انغرس الأديب بتصوير العلاقات الاجتماعيّة من الدّاخل حقق لأدبه ارتقاءً وسموَّا فنيّا وبالمقابل فإنّ تصوير الهامشي والسّطحي أمر يهبّها بالأدب والفنّ.وبما أنّ نشأة الأدب هي انعكاس للواقع الاجتماعي فإنّ طبيعة الأدب لابدّ أن ترتبط بذلك الواقع الذي أُنتج فيه.
* إنّ الأديب هو الأداة التي يعبّر المجتمع عن نفسه من خلالها أو أداة الطّبقة الاجتماعيّة التي ينتمي إليها الأديب، فلولا المجتمع لما استطاع الأديب أن ينتج العمل الأدبي، وحتّى على صعيد اللّغة نجد أنّ الأديب يتعامل مع ظاهرة اجتماعيّة، وأسلوبه الخاص نتّاج للتّفاعل مع اللّغة، لذا فالأدبي يحرصُ على التّقيد بمستوى لغوي معيّن يحدّده الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثّقافي للمرحلة التي يعيش فيها، وبالتالي الأديب يستخدم اللّغة المألوفة (لغة الجماعة) . والأديب العبقري هو الأقدّر على تشكيل اللّغة بما يواتي هدفه وهو هدف اجتماعي أيضًا.

وتتمثّل وظيفة الأدب في نظرية الانعكاس في الالتصاق بالواقع ومشاركة المبدع مع القارئ في تغيير هذا المجتمع لما هو أحسن من خلال التعبير عن قضايا المجتمع من هموم ومشاكل يعاني منها الأفراد وهذا إيمانا من أصحاب نظريّة التعبير بالواقعية المادية وعلاقة الأدب بالمجتمع..